المحاضرة الرابعة: طائفة اليهود

1_ اليهود واليهودية

اليهود مجموعات بشرية مختلفة، فمنهم الإسرائليون المنتسبون إلى يعقوب عليه السلام، ومنهم من تعود أصوله العرقية إلى البربر أو الأفارقة والخزر وحتى الأصول الأوربية، لكن الديانة اليهودية التي تجمعهم حاولت دوماً إعطاءهم البعد الطائفي العرقي أو القومي وبالتالي خلطت بين الأصول العرقية والمعتقدات الدينية من أجل تأسيس مفهوم القومية اليهودية وهذا المعتقد قامت عليه الحركة الصهيونية ق19م.

2_ اليهود في الجزائر في العهد العثماني

يعود الوجود اليهودي في المغرب الإسلامي إلى فترات تاريخية قديمة، حتى قبل ظهور الإسلام، هذا الوجود الذي استمرّ في العهد الإسلامي حتى العصر الحديث.

في الجزائر في العصر الحديث وجد اليهود في عدة مدن منها: تلمسان، الجزائر، وهران، بجاية، قسنطينة، ندرومة، تاهرت، المسيلة، بسكرة، مستغانم، ورقلة، تقرت، توات، ملیانة، بوسعادة وغيرها من المدن.

_ استقر اليهود بالمدن الكبرى، واندمجوا في المجتمع الجزائري ولم يكن يميز وجودهم إلاّ من خلال الملابس الداكنة التي كانوا يرتدونها وإلزامهم بدافع "الجزية" وعدم حمل السلاح وركوب الخيل.(خلوفي،37)

سمح لليهود بممارسة عقائدهم بكل حرية، وكانوا يخضعون في أحوالهم الشخصية لقوانينهم الدينية.

_ كان يرأسهم "مقدم الطائفة" يعينه الداي، ويتولى أمور طائفته من جمع الضرائب، حل المنازعات بينهم.

امتهن اليهود التجارة خاصة الخارجية وصناعة الحلي والعملة

تزايدت أعداد اليهود بالجزائر في العصر الحديث، حيث هاجروا إليها من الأندلس، جبل طارق، المغرب الأقصى(تيطوان)، (مذكرة،الحياة السياسية والاجتماعية، 113)

هاجرت من الأندلس إلى الجزائر عائلات يهودية معروفة منها: عائلة "ستورة"Stora، سيرورSeror، بينها بيم ، دوران Duran، عائلة الوليدOualid ، عائلة العياش Les Ayaches (بوعمامة،ف،اليهود في المغرب الإسلامي،58)

تزايدت أعداد اليهود في وهران بعد استرجاعها من الإسبان سنة 1792م فوصلت أعدادهم إلى 2800 فرد، ويعود ذلك إلى تشجيع "الباي محمد الكبير" لليهود من أجل تعميرها (وهران)، فمهروا في التجارة والنشاط الحرفي، ومنحت لهم الأراضي لبناء المتاجر والأسواق وحتى الأحياء الخاصة بهم.

ومن العائلات التي هاجرت إلى وهران وكانت ثرية، عائلة كابيزا من المغرب، عائلة قايسون من جبل طارق، وعائلة لفي برام ابو بكر وعائلة تميم.

كانت علاقات اليهود بالعثمانيين وأهل الحضر جيدة، وكان اليهود محل ثقة بالنسبة لهم، أما علاقاتهم بالقبائل فكان يميزها الحذر والمصالح.

استغل اليهود ثقة العثمانيين بهم لتنمية ثرواتهم، وتوسيع نفوذهم في الجزائر في المجال الاقتصادي وحتى السياسي، ولعبوا دور الوسيط في كثير من القضايا بين حكومة الدايات والدول الأوربية فاستخدمتهم فرنسا في عهد "الثورة"(1792_1814) كوسطاء في المعاملات التجارية بينها وبين الجزائر، وهنا برز دور شركة "بكري وبوشناق"، أما بكري فهو ميشيل كوهين والمعروف بابن زهوات، وبوشناق صهر بكري، وهو المعروف "ببوجناح".

تمكن بوجناح من كسب ثقة الباي الوزناجي بن سليمان () باي قسنطينة، ثم توسع نفوذه في الجزائر وأصبح يؤثر على توليه كبار الموظفين في الدولة فلقب "بملك الجزائر"(سعد الله،محاضرات.16)

بلغ نفوذ بوجناح درجة أصبح هو وأهل طائفته يستقبلون القناصل الأوربيين باسم البشا كما حدث مع قنصل الدانمارك، السويد، هولندا.1801

كما استقبل مبعوث السلطان إلى الجزائر سنة1804، و تفاوض مع البرتغال باسم الجزائر.

لكن يبدو أنّ هذا النفوذ كان هناك من يعارضه بشدّة حتى من طرفالأتراك أنفسهم، حيث قتل بوجناح سنة 1805 على يد أحد جنود الانكشارية، واغتيل الباشا مصطفى ( ) المقرب منهم، ولما خلفه "الباشا أحمد" صادر أملاك بوجناح واضطهد افراد بارزين من أسرة بكري.

في سنة 1816، قتل داود بكري (الحفبد)، ونفي والده "يوسف بكري" سنة 1816، وحلّ "يعقوب بكري" كزعيم للطائفة ومسؤول تجاري لعائلة بكري.

في سنة 1818 تولى "الداي حسين" الحكم.

تمكن اليهود من احتكار تجارة الحبوب في الجزائر خاصة في بايلك الشرق والغرب وجمعوا جراء ذلك أموالاً ضخمة، وتركوا السكان يعانون من المجاعة والفقر، صدّروا الحبوب إلى أوربا وكثيرا ما كانوا شركاء لموظفين في الدولة كبار منهم البايات وحتى الدايات، وأخيرا كانوا سببا في الخلاف المالي بين الجزائر وفرنسا، والذي دفع هذا الأخير إلى التفكير في غزو الجزائر طمعاً في ثرواتها وتهرباً من دفع الديون المستحقة عليها.